

نحو قراءة أولية في التصعيد بين "هيئة تحرير الشام" وغرفة "فائبتوا"

مقال تحليلي من إعداد: وحدة تحليل السياسات

سرعان ما اشتعل فتيل التوتر بين "هيئة تحرير الشام: هتس" وفصائل غرفة عمليات "فائبتوا" التي تم تشكيلها في 12 حزيران 2020 شمال غربي سوريا، وذلك بعد محاولة "هتس" تحجيم قوة تلك الفصائل التي اجتمعت في كيان واحد رفضاً فيما يبدو لما تسعى "هتس" لإظهاره من سياسات جديدة تمثلت في جملة من التغييرات لخطابها وهويتها¹ والتماهي العملي مع التوافقات التركية – الروسية، الأمر الذي مثل تهديداً للجماعات "الجهادية" الأكثر تطرفاً، والمعركة لوقف إطلاق النار بين تركيا وروسيا بشأن إدلب، ومن المعلوم بأن ملف تحولات "هيئة تحرير الشام" وبقية الجماعات "الجهادية" يعتبر أساسياً في محركات الصراع داخل محافظة ادلب، الأمر الذي يؤثر بدوره على حزمة من الملفات المحلية والاقليمية، كأفاق الحل النهائي للقضية السورية، والأمن القومي التركي، ومصير جيوب الشمال السوري تحت سيطرة قوى الثورة والمعارضة السورية، ستحاول هذه المقالة تسليط الضوء على التطورات الأخيرة نحو قراءة أولية لما يمكن أن تؤدي إليه.

تشكلت غرفة عمليات "فائبتوا" في وقت كانت هناك أصوات كثيرة من تلك الجماعات تطالب بضرورة الوقوف بوجه الدوريات التركية الروسية المشتركة على الطريق الدولي M4 في ريف إدلب، وانتقل الأمر إلى تدخل واضح من قبل الجماعات "الجهادية" لعرقلة تلك الدوريات²، لكن ذلك لم يكن كافياً لإنهاء اتفاق وقف إطلاق النار شمال غربي سوريا بسبب نفوذ "هيئة تحرير الشام" وقبولها الضمني بالاتفاق³، الأمر الذي دفع تلك الجماعات إلى التكتل في كيان واحد لتقوية نفوذها، ومن ضمنهم قياديون منشقون عن "هيئة تحرير الشام"، إضافة إلى أسباب تتعلق بتهميش "التلي"، أحد قادة "هيئة تحرير الشام" الأسبقين.

وقد ضمت غرفة عمليات "فائبتوا" الفصائل التالية:

1- "لواء المقاتلين الأنصار": ويقوده جمال الزينية والمعروف بـ "أبو مالك التلي"، وهو قيادي سابق في "هيئة تحرير الشام" انشق عنها بعد التحولات الأخيرة، وهو ما يبدو منسجماً مع توجه "التلي" المتشدد، إضافة إلى

¹ ينظر تحليل لخطاب "هيئة تحرير الشام" وتحولاته في المقال التحليلي "قراءة في بيان "هيئة تحرير الشام" الأخير حول اتفاق موسكو". مركز الحوار السوري.

² تمثل ذلك بتهديد الجماعات "الجهادية" باستهداف القوات الروسية إن دخلت إلى الطريق الدولي، إضافة لوجود اتهامات بوقوف تنظيم "حراس الدين" وراء عملية استهداف القوات التركية في بلدة محمبل بريف إدلب الغربي.

³ لم تصح هيئة تحرير الشام علانية بقبول الاتفاق، لكن المجريات على الأرض تشير لقبولها به، مثل فتحها الطريق أمام الدوريات وإزالة الحواجز وإبعاد مناصريها عن الطريق، ينظر التقرير الصحفي بعنوان: سورية: الدوريات الروسية التركية تصل إلى أربعا لأول مرة – العربي الجديد

الخلافات التنظيمية والمالية، حيث ترجح مصادر وجود خلافات مالية بين الطرفين⁴، وكان "التلي" قد قاد عملية خطف راهبات معلولا التي حصل من خلالها تنظيم "جبهة النصر" على ملايين الدولارات⁵.

2- "تنسيقية الجهاد": ويقوده "أبو العبد أشداء"، وهو أيضاً قيادي سابق في "هيئة تحرير الشام"، وانشق عنها بسبب تصريحه علانية بأن "هتس" تنفذ "أجندات دولية وهو غير قادر على التغيير فيها"، وضم "أبو العبد أشداء" إلى صفه العشرات من عناصر "هيئة تحرير الشام" الراضين لسياستها الحالية، وأعلن أنه تمكن من الانتشار في مناطق عدة في الشمال السوري، وأن هدف الفصيل هو "تحرير كافة الأراضي من النظام المجرم وإقامة شرع الله على الأرض"⁶.

3- "حراس الدين" و"أنصار الدين" و"أنصار الإسلام": وهي فصائل كانت تجتمع في غرفة عمليات "وحرص المؤمنين" وصرحت علانية برفضها للاتفاق التركي الروسي حول إدلب⁷، وفي الأصل فإن "حراس الدين" و"أنصار الدين" منشقان في وقت سابق عن "هيئة تحرير الشام".

"هتس" التقطت الإشارة سريعاً، وأيقنت أن تشكيل هذه الغرفة جاء بهدف مواجهتها في المنطقة، فعملت على إضعاف قوة تلك الفصائل من خلال اعتقال قادتها المؤثرين، ومن ناحية ثانية فإن "هتس" تتخوف من أن يؤدي تشكيل هذه الغرفة إلى انهيار تماسك تنظيمها العسكري والإداري بعد سنوات من تثبيته بالقوة، فتشكيل الغرفة الجديدة يعد مُحفّزاً لانشقاق بعض عناصر "هتس" الذين يمكن أن يعارضوا ما يظهر من محاولتها التخلص من إرثها "الجهادي" القديم، وتقديم نفسها كجبهة يمكن الاعتماد عليها للأطراف الدولية، وهذه القضية تلقى معارضة شديدة في أدبيات الجماعات "الجهادية" عموماً.

ويبدو أن "هيئة تحرير الشام" حاولت إضعاف غرفة "فائبتوا" من خلال القيام بالعديد من الاعتقالات للمؤثرين فيها، فقد اعتقلت "هتس" رأس الغرفة المالي "أبو مالك التلي" والذي حاول "الجولاني" من قبل استرضاءه بحسب رسالة كُشف عنها تحمل الترغيب والترهيب⁸، لكن "التلي" مضى في طريقه وانضم إلى غرفة "فائبتوا"، ومن ثم اعتقلت "هتس" الناشط في مجال "الإغاثة والجمعيات الخيرية" "توفير شريف" المعروف بـ "أبو حسام البريطاني"

⁴ تشير المصادر إلى أن "التلي" انشق عن التنظيم وبحوزته مبلغ مالي كبير يقدر بـ 20 مليون دولار، ينظر: "تحرير الشام" تعتقل "أبا مالك التلي" بعد محاصرة منزله.. ومصدر خاص لـ "نداء سوريا" يوضح السبب.

⁵ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: "التلي" و"أشداء" .. انفصال عن الجولاني دون الاندماج مع "حراس الدين" - المدن

⁶ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: أبو العبد أشداء يتحدث عن "تنسيقية الجهاد" ودور النساء فيها (فيديو) - صحيفة جسر

⁷ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: جسران واعتصام.. عراقيل تهدد بفشل اتفاق موسكو في ادلب - عنب بلدي.

⁸ بدأ "الجولاني" رسالته بالحديث عن مكانة "التلي" في صفوف "هتس"، كونه ممن أسهموا في بنائها، معرباً عن حزنه من ترك "الهيئة"، لكنه طالبه في الرسالة بالعودة إلى صفوفها، محذراً "من إنشاء جماعة، أو مناصرة مخالفين، أو القيام بحديث يطعن بها بالإعلام أو أمام الناس، أو محاولة شق الصف، فيومها" ستكون قد ابتعدت كثيراً وأسقطت كل الاعتبارات" - ينظر التقرير الصحفي بعنوان: رسالة من الجولاني حذرت "أبو مالك التلي" قبل اعتقاله - عنب بلدي.

بتهم تتعلق بدعم مشاريع تحرض على الانقسام والانشقاق والفرقة وسوء استخدام أموال الإغاثة⁹، في إشارة صريحة إلى دعمه لغرفة "فائبتوا". كما اعتقلت قبل "التلي" و"البريطاني" القيادي السابق في صفوفها والمطلوب للأنتربول الدولي "سراج الدين مختاروف" المعروف باسم "أبو صلاح الأوزبكي"، المنضوي ضمن صفوف تنظيم "جبهة أنصار الدين"، والذي انضم بطبيعة الحال إلى غرفة "فائبتوا"¹⁰، وشكّل اعتقاله بداية لميادين التوتر بين "فائبتوا" و"هتش".

ويبدو أن تخوف "هيئة تحرير الشام" من التأثيرات الانعكاسية على بنيتها بعد انشقاق قياديين مؤثرين فيها، قد دفعها بعد أيام من تشكيل غرفة "فائبتوا" إلى إصدار بيان عاجل تهدد فيه كل من ينشق عنها دون أخذ الموافقة على ترك العمل فيها، كما تطالبه بعدم الانضمام إلى أي فصيل أو كيان عسكري دون أخذ موافقة منها أيضاً¹¹، الأمر الذي بدا كخطوة لمنع تنامي قوة التشكيل الجديد من خلال مده بالعناصر المحتمل انشقاقهم عن "هتش"، وخاصة من بقايا التيارات المتشددة فيها، وسط اتهامات من قبل أوساط "الجهاديين" لـ "هيئة تحرير الشام" كونها لم تُستهدف من قبل طائرات التحالف المسيرة والتي باتت تستهدف قادة تنظيم "حراس الدين"، ولم تخلُ الاتهامات من الإشارة لدور للجولاني بتلك الاغتيالات¹².

وفي بيان منسوب لتنظيم "القاعدة" الذي يعد التنظيم الأم للجماعات المتقاتلة في شمال غرب سوريا بما فيها "هيئة تحرير الشام"، نفى البيان أن يكون لأي فصيل الشرعية في السيطرة على بقية الفصائل العسكرية في سوريا، واعتبر أنه لا يمكن أن ينطبق على أي من الفصائل في شمالي سوريا مفهوم "جماعة المسلمين الذي يوجب على جميع المسلمين بيعتها ويحرم إقامة الجهاد إلا بإذنها، من خلال فصائلها العسكرية، ويقاوم من تركها، كما لا يجوز لأي فصيل أن يسلب الحريات لأفراده سواء كانوا قادة أو أفراداً"¹³، ويلاحظ في بيان تنظيم "القاعدة" الانتقاد المبطن لـ "هيئة تحرير الشام" ومحاولتها منع أي عملية انشقاق عنها، الأمر الذي سيشكل مزيداً من الضغوط على "هتش" في نزاعها مع الفصائل "الجهادية" فيما يتعلق بشرعيتها لدى التيار "الجهادي".

وقد أصدرت "هيئة تحرير الشام" بياناً حول التطورات التي جرت والدعوات للصلح، حوى البيان ملامح خطاب "هتش" الجديد الذي يشتق مفرداته من أدبيات الثورة السورية بهدف كسب التعاطف الشعبي في نزاعها الحالي مع بقية الجماعات، مع التراجع بشكل ملحوظ عن العبارات والمفردات الأدبية "الجهادية"، واتهمت في بيانها فصيلي "أنصار الدين" و"حراس الدين" بـ "تشكيل مجموعات صغيرة واهية لا تخلو من لغة التخوين والاتهامات المبطنة

⁹ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: "تحرير الشام" تترر اعتقال "البريطاني": يدعم "مشاريع الانشقاق" بالمال - عنب بلدي

¹⁰ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: "تحرير الشام" تعتقل قيادياً أجنياً مطلوباً لـ "الأنتربول" الدولي - عنب بلدي

¹¹ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: "بعد اعتقالها" "التلي" .. "هيئة تحرير الشام" تضع شروطاً لمن يريد الانشقاق عنها - الجسر

¹² ينظر التقرير الصحفي بعنوان: "سجلات في صفوف" "القاعدة" بعد مقتل قادة من "حراس الدين" بقصف جوي على ادلب.. هذه طبيعتها - أورينت

¹³ ينظر التقرير الصحفي بعنوان: تنظيم "القاعدة" يعلّق على اشتباكات "تحرير الشام" و"حراس الدين" - عنب بلدي.

الزائفة"، كما اتهمت "جهات متشوقة لزيادة في شرح الساحة من خلال رفع شعارات تعين على التشرذم وشق الصف"، المفردات التي تبدو أساسية في ارتكاز بيان "هتش" في مواجهتها لغرفة "فائبتوا"¹⁴.

يمكن القول بأن العلاقة بين "هيئة تحرير الشام" والجماعات "الجهادية" الأخرى قد دخلت في مرحلة متأزمة لا يمكن ترميمها، وحتى إن تم التوصل لاتفاق تهدئة بين الطرفين، فلن تعدوا أن تكون مؤقتة تفتقر إلى الديمومة لما يبدو من اختلاف بين مساري الطرفين¹⁵، فالجماعات "الجهادية" ترى أنه إن استمر الحال على ما هو عليه - من تضيق عليها إلى اتفاقات دولية تمنع وجود معارك - فإنه لا مستقبل لها في سوريا، بينما تريد "هتش" من خلال حرمانها ضد تلك الجماعات إثبات استمرار سيطرتها وفرض هيبتها، إضافة إلى محاولة اكتساب الشرعية من خلال إثبات قدرتها على ضبط ملف الجماعات الأكثر تطرفاً¹⁶، بهدف الحصول على موقع سياسي في أي اتفاق سياسي قادم، لكن بالرغم من ذلك، لا تظهر إشارات واضحة لإمكانية قبول "هيئة تحرير الشام" كجماعة معتدلة كما تحاول مؤخراً تقديم نفسها¹⁷. ويغلب على الظن بأن "هيئة تحرير الشام" ستنجح في فرض شروطها على غرفة "فائبتوا" دون استئصالها تماماً، وهو مما يمكن أن يبقي ورقة إنهاء تلك الجماعات في يد "هتش" إلى مرحلة تفاوضية لاحقة، ليبقى مصير "هتش" مرتبطاً بالموافق الإقليمية والدولية التي تملك إمكانية حل "هيئة تحرير الشام" وما يتبع ذلك من استحقاقات، أو فرض تحولات بنيوية جذرية عليها بما يؤدي إلى ذات النتيجة، بما يمكن أن يحافظ على المصالح الإقليمية والدولية التي ترغب في استمرار الهدوء النسبي في محافظة ادلب ومنع تدفق اللاجئين.

¹⁴ ينظر البيان في التقرير الصحفي: وسط استمرار المواجهات "تحرير الشام" تعلق على دعوة "الصلح" وتضع شروطها لوقف الاقتتال.

¹⁵ وهو ما ظهر لاحقاً من خلال حديث غرفة وائبتوا عن نقض "الهيئة" للاتفاق المبرم في 26 حزيران 2020، ينظر: غرفة "فائبتوا": "تحرير الشام" نقضت اتفاق الهدنة وداهمت مقرات جديدة لنا.

¹⁶ وكانت مصادر تحدثت عن حشود لـ "هيئة تحرير الشام" في نيسان الماضي مشابهة للحشود التي كانت ترصد قبل أي عملية استئصال سابقة للفصائل، وتوقعت المصادر أن تكون الحشود ضد حراس الدين بناء على مزاعم إيوائهم البغدادي في ادلب، ينظر: نُذر حرب وشيكة بإدلب... "تحرير الشام" في مواجهة مباشرة مع فصائل "فائبتوا".

¹⁷ مصدر سابق هامش رقم (1).